



مع ربه في صفة من الصفات فلذلك قلنا كجناح بكاف التشبيه فافهم .

فعلم أنه يتعين على كل من يريد العمل بهذا العهد أن يسلك على يد شيخ مرشد يسلك به حتى يخرج عن الرغبة والمحبة في الدنيا ويدخله حضرة الزهد فيها وإلا فمن لازمه أنه يكره الإسرار بالصدقة ويحب إظهارها لما عنده من العظمة والمحبة لها ولجهله بالله تعالى فإنه لا يعامل إلا من يعرف عظمة الله تعالى . وقد صحبتني شخص من ذوي الأموال فذكرت له ما ورد في صدقة السر من الأحاديث فقال لي تبت إلى الله تعالى عن إظهار شيء من الصدقات للناس ورؤية المنة على آخذها فقلت له : هذا لا يكون إلا بعد سلوك الطريق فقال لي قد تحققت بحمد الله بذلك فأرسلت له فقيرا سرا وقلت له أسأله في دينار ولا تسأله إلا ليلا أو حيث لا يعلم بذلك أحد فسأله فأعطاه الدينار فلم يزل به أبو مرة يوسوس له بإظهار ذلك حتى جاءني وصار يذكر شدة احتياج الناس إلى الصدقة في هذا الزمان إلى أن جاء إلى ذلك الفقير وقال إن فلانا محتاج وقد بلغنا أنه جاء إلى بعض التجار وسأله دينار فأعطاه له ثم لم يزل له إبليس حتى ذكره لي وقال إنما ذكرته لك يا سيدي لكوني لا أحب أخفي عنك شيئا فانظر كيف أخرجه إبليس من صدقة السر وأوقعه في تزكية نفسه ودعوى أنه لا يخفي عني شيئا من أحواله ولو أنني قلت له أعلمني بعدد ما عندك من الدنيا ما سمح بذلك فوالله لقد صار الصدق أعز من الكبريت الأحمر ولو أنه كان دخل طريق الفقراء من بابها على يد شيخ لصار دخوله النار أهون عليه من إظهار ما أمره الله بكتمه .

قلت : وقد بلغنا أن شخصا صام أربعين سنة لا يشعر به أحد فلم يزل به إبليس حتى أوقعه في التحدث بها وذلك أن إبليس جاء إلى القصاب في هيئة فقير وفي عنقه سبحة وعلى كتفه سجادة وصار يقول للجزار أعطني هذه القطعة اللحم المليحة لأن لي ثلاثة أيام صائما فلم يزل يكرر ذلك حتى تحرك في قلب ذلك العابد داعية إلى إظهار صومه وقال اكتم صومك أنت أفضل لك فإنني صائم أربعين سنة ما شعر بذلك أحد فقال له إبليس أنا إبليس وما لي حاجة باللحم إلا حتى أوقعتك في إظهار صيامك ثم قال له إبليس كيف تقول لي اكتم صومك فإنه أفضل وتقع أنت في إظهاره ؟ فندم العابد وفارقه إبليس . واعلم أنني ما رأيت في عمري كله أكثر صدقة سرا من شيخنا شيخ الإسلام زكريا شارح البهجة والشيخ شهاب الدين ابن الشلبي الحنفي لا تكاد تجدهما يظهران من صدقتهما شيئا . وقد جاء شخص من الأشراف إلى شيخنا زكريا وقال له يا سيدي قد خطفوا عمامتي الليلة فأعطني ثمن عمامة فأعطاه فلما فرده الشريف فأخذه الشيخ فقلت له إن الفلس لا يكفي في مثل ذلك فقال الذنب له الذي جاء بحضرة الناس وقد رغبتني بالله تعالى في الإسرار بالصدقة فلا أظهر ذلك لأحد من الخلق ولو أنه جاء من غير أن يكون عندي أحد لأعطيته ثمن العمامة أو أكثر لأجل جده A ثم لقيت الشريف بعد ذلك فأخبرته بما قال الشيخ فقال : إن الشيخ أرسل لي عمامة في الليل وهاهي على رأسي .

وكذلك بلغنا عن سيدي علي النبتيتي بن الجمال أنه كان يرسل كل سنة المائة حمل قمحا وأرزا وغير ذلك إلى مكة في البحر ويسافر هو في البر مع الحجاج ثم يجلس يبيعها في المسعى ويخبر بالسعر الغالي زيادة على الناس وينظر فكل من اشترى منه بالزيادة على السعر يعرف أنه مضطر فيعطيه ما اشتراه بلا ثمن ويأمره بالكتمان فعلم بذلك غالب أهل مكة فكان يعطيهم كذلك حتى أنه لم يأخذ درهما واحدا في بعض السنين ف قيل له إن كان ولا بد لك من العطاء للناس بلا ثمن فتصدق أنت به فقال البيع أستر لنا من الصدقة وكذلك كان يفعل في الثياب التي يفرقها يأمرهم بالكتمان فيها وكل من تكلم بذلك يرسل يأخذ الثوب منه ويقول : يا ولدي غلطنا والثوب لشخص غيرك حتى لا يصير يتكلم بعد ذلك بشيء . وكان أخي أفضل الدين C يأخذ صدقات أصحابه ويجمعها عنده للفقراء ويقول لهم : إن جماعة من التجار أرسلوا لي على اسمكم شيئا من الفضة والذهب لأفرقه عليكم ثم يخلط على ذلك أضعافه ويفرقه عليهم بحيث لا يعلم أحد من الخلق بذلك ولولا أنني رأيت أنه فعل ذلك وهو لا يشعر بي ما أعلمني به وكان بعض من لا يعرف مقامه يتهمه بأنه اختلس من مال الفقراء لنفسه ويبلغه ذلك عنه فيتبسم ولا يجب عن نفسه شيئا . فبهدي هذه الأشياخ يا أخي اقتده بمضاعفة الأجور ورضا الرب وا[] يتولى هداك : { وهو يتولى الصالحين }